المبحث الرابع

أثر السياق القرآني النسقي

فِي الدلالة على القصر والحصر

إنّ الغرض البلاغي الذي يؤديه أسلوب القصر غرض جوهري يتعلق بمعاني الجمل لا ألفاظها، وَقَدْ يختلف المعنى كليّاً لتقديم كلمة أو تأخيرها بحسب السياق القرآني الذي يحكمه[١].

«والقصر والحصر بمعنى واحد، وَهُوَ تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص»[٢]. وأسلوب القصر يتكون من ركنين هما: المقصور والمقصور عليه، ومعنى القصر راجع على تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان[٣].

وطرق القصر أربعة هي:

١- النفي والاستثناء، قَالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[٤] فمعنى ﴿أَنَا۠﴾ مقصور على النذارة لا يتخطاها على طرد المؤمنين، فيكون المقصور عليه بعد أداة الاستثناء[٥].

٢- إنّما، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٦]، وأفاد معنى

---

(١) ينظر: النظم القرآني فِي تفسير الدر المصون: ٩١.

(٢) دليل السالك إلى ألفية ابن مالك: ٣٤٢.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٨٨ ؛ وينظر: النظم القرآني فِي تفسير الدر المصون: ٩١ .

(٤) سورة الشعراء: ١١٤-١١٥.

(٥) ينظر: البلاغة الميسرة: ٤٨١؛ وينظر: مفتاح العلوم: ٢٨٩ .

(٦) سورة فاطر: ٢٨.

﴿إِنَّمَا﴾ معنى القصر هُوَ تضمنه معنى (ما) و(إلاّ)، ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً[1].

٣- العطف بـــ(لا، وبل، ولكن)[2]. كقول الشاعر:

عمر الفتى ذكرهُ لا طولُ مدته وموتُه حزنه لا يومُـــهُ الـــدّاني

والمقصور عليه بـــ(لا) العاطفة الواقع قبلها والمقابل لما بعدها، لتأكيد العلم فيها وتعيين ما قبلها[3].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾[4]، «معناه: بل هم عباد مكرمون»[5]، يعني الملائكة ﴿مُّكۡرَمُونَ﴾[6]. ومعنى بل الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني[7].

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾[8].

و(لكن) العاطفة فتكون مثقلة ومخففة، والمثقلة عاملة والمخففة غير عاملة ومعناها فِي كلا الحالتين الاستدراك والتوكيد[9].

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٩١.

(٢) جواهر البلاغة: ١٦٨.

(٣) ينظر: النظم القرآني فِي تفسير الدر المصون: ٩٦؛ وينظر: البلاغة الميسرة: ٤٨.

(٤) سورة الأنبياء: ٢٦.

(٥) معاني القرآن، للزجاج: ٢٠١/٢.

(٦) ينظر: البيان القرآني فِي تفسير رموز الكنوز: ١٣٥.

(٧) ينظر: النظم القرآني فِي تفسير الدر المصون: ٩٧.

(٨) سورة الأحزاب، من الآية: ٤٠.

(٩) ينظر: البيان القرآني فِي تفسير رموز الكنوز: ١٣٥، ١٣٦.

«ولا يعطف بـــ(لكن) إلاّ بشروط ثلاث وهي: أن يكون المعطوف مفرداً لا جملة وألا تكون مسبوقة بالواو مباشرةً، وأن تكون مسبوقة بنفي أو نهي»[1].

«والمقصور عليه مع (بل) و(لكن) العاطفتين هُوَ الواقع ما بعدها»[2].

٤- تقديم ما حقه التأخير ويكون المقصور عليه هُوَ المقدم[3].

قَالَ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[4]، فمعنى ذَلكَ أنّه لا يحصل الإيمان إلاّ بالتوكل على الله وحده، ويتبين من سياق الآية أنّ التوكل شرط الإيمان، فينبغي تفويض الأمر لله تعالى. وهذا السياق مرتبط نسقياً من حيث دلالة المعنى المراد منه.

وينقسم القصر إلى أقسام عدة باعتبارات ثلاث:

أ- القصر باعتبار طرفيه:

١- قصر الموصوف على الصفة:

ولا يتجاوز الموصوف الصفة إلى غيرها[5]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾[6]، فدخلت ﴿إِلَّا﴾ هنا على الصفة لتفيد الحصر[7].

---

(١) المصدر نفسه: ١٢٦.

(٢) البلاغة الميسرة: ٤٨٢.

(٣) ينظر: البلاغة الميسرة: ٤٨١.

(٤) سورة المائدة: ٢٣.

(٥) ينظر: النظم القرآني في تفسير الدر المصون: ٩٢.

(٦) سورة النساء، من الآية: ١٥٩.

(٧) ينظر: الدر المصون: ٤٥٩/٢.

٢- قصر الصفة على الموصوف:

«وتكون الصفة مقصورة على الموصوف وحده، وليس لهذه الصفة موصوف آخر غير المنصوص عليه»[١]، قَالَ تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[٢].

ب- القصر باعتبار الحقيقة والواقع:

١- القصر الحقيقي:

«وَهُوَ أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الواقع بألاّ يتعداه إلى غيره أصلاً»[٣]، ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٤].

٢- قصر غير حقيقي (إضافي):

«وَهُوَ أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه»[٥]، قَالَ تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾[٦] وتحمل متاعب التبليغ وأنواع الشقاء وتكاليف النبوة إلاّ ليكون تذكرة[٧]. وهذا القصر الإضافي جاء

---

(١) ينظر: النظم القرآني في تفسير الدر المصون: ٩٢.

(٢) سورة النمل: ٦٥.

(٣) البلاغة الميسرة: ٤٨٤.

(٤) سورة الأنبياء، من الآية: ١٠٨.

(٥) البلاغة الميسرة: ٤٨٤.

(٦) سورة طه: ١-٣.

(٧) ينظر: الدر المصون: ٥/٥.

متناسقاً حتى من حيث الفاصلة والصوت والمقطع وهذا من جماليات النسق الصوتي الذي جاء متداخلاً مع القصر الإضافي وأعطاهُ بعداً جمالياً آخر.

ج- القصر باعتبار حال المخاطب:

ويختص هَذَا النوع بالقصر الإضافي فقط، والمخاطب فِي أسلوب القصر إمّا أن يكون شاكّاً فِي الأمر، أو يكون معتقداً عكس الرأي فِي الحكم أو يكون معتقداً الشركة بين اثنين أو أكثر فِي الحكم، فهو يكون لمقتضى الحال أو تدعيه الحاجة[1]. وله أنواع ثلاث هي:

١- «**قصر إفراد**: إذا اعتقد المخاطب الشركة، قَالَ تعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[2] ردّاً على من اعتقد أنّ الله ثالث ثلاثة»[3].

٢- **قصر قلب**: إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تُثبته، ومثاله (وما علي إلاّ شاعر) إذا اعتقد المخاطب أنّ الشاعر زيد لا علي، فقد قلبت وعكست عليه اعتقاده[4].

٣- **قصر تعيين**: «إذا كَانَ المخاطب يتردد فِي الحكم، كما إذا كَانَ متردداً فِي كون الأرض متحركة أو ثابتة فتقول له: الأرض متحركة لا ثابتة»[5].

(١) ينظر: النظم القرآني فِي تفسير الدر المصون: ٩٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٦.

(٣) البلاغة الميسرة: ٤٨٤.

(٤) ينظر: البلاغة الميسرة: ٤٨٤؛ وينظر: النظم القرآني فِي تفسير الدر المصون: ٩٤.

(٥) البلاغة الميسرة: ٤٨٤.